مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

التوظيف الإعلامي التقليدي للمقدسات الإسلامية في الحجاز في العهد العثماني ١٨٨٠-١٩١٨(*)

د/ بكيل محمد الكليبي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
جامعة ذمار - اليمن

*) تاريخ تسليم البحث 29/6/2024 تاريخ قبوله للنشر 20/9/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

التوظيف الإعلامي التقليدي للمقدسات الإسلامية في الحجاز في العهد العثماني ١٨٨٠-١٩١٨م

د/ بكيل محمد الكليبي
أستاذ الإعلام الحديث المساعد
جامعة ذمار – اليمن

الملخص

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: التوظيف الإعلامي التقليدي للمقدسات الإسلامية في الحجاز في العهد العثماني (١٨٨٠-١٩١٨م) إلى تسليط الضوء على استخدام العثمانيين لهذه الوسائل الإعلامية، واقتضت الدراسة استخدام منهج البحث التاريخي لتوصيف هذه الوسائل الإعلامية التقليدية وتحليل عملية استخدامها، إذ احتوى البحث على أربعة محاور ومقدمة وخاتمة، تناول المحور الأول مدخل تمهيد، وخصص المحور الثاني لدور وسائل الإعلام التقليدية في تشكيل الهوية الإسلامية لدى الحجاج، في حين تناول المحور الثالث توظيف العثمانيين للخدمات المقدمة للحرمين الشريفين إعلاميًا أما المحور الرابع والأخير فتناول نماذج من استخدام العثمانيين لوسائل الإعلام التقليدية في الحجاز، واختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت جملة من النتائج المتعلقة بالموضوع ومن ابرزها تحقيق العثمانيين فوائد كبيرة من وراء استخدام بعض نماذج وسائل الإعلام التقليدية في الحجاز لتلبية حاجتهم في ارشاد الناس واعادة توجيههم في موسم الحج.

الكلمات المفتاحية: وسائل، تقليدية، إعلام، الحجاز، العثماني، استخدام.

The traditional media employment of Islamic sanctities in the Hijaz during the Ottoman era 1883-1918 AD

Bakeel Mohammed Mohammed Al.kulaibi
Assistant Professor of Modern and Contemporary History
Dhamar University Republic of Yemen

Abstract

The aim of this study is tagged with: traditional media in the Hijaz in the Ottoman Endowment 1880-1918, to highlight the use of the Ottomans for these media, and the study rose to the use of the historical research approach to the characterization of these traditional media and analysis, The research contained four axes, an introduction and conclusion, eating the first axis in the boot entrance, and the second axis of traditional media in the formation of Islamic identity has been dedicated. While eating the third axis employment of the Ottomans for the services provided for the two Holy Mosques, either the fourth and final axis, eat models of the use of Ottoman for traditional media in Hijaz. The study concluded with a similar statement from the topic and its most prominent benefits from the use of some traditional media models in Hijaz to meet their need to guide people and re-guide them in the Hajj season. Keywords: means, traditional, notification, Hijaz, Ottoman, use.

Keywords: means, traditional, notification, Hijaz, Ottoman, use.

مقدمة الدراسة:

يعد الإعلام بكافة وسائله وأشكاله وتعبيراته من الوسائل الضرورية لتحقيق عملية الاتصال والتواصل بين الدولة والجماهير، فالدولة العثمانية منذ نشأتها استخدمت وسائل إعلام تقليدية قبيل ظهور وسائل الإعلام الحديثة من صحافة، وطباعة وغيرها، سواء على مستوى مركز الدولة أو الولايات، وجاء استخدام هذه الوسائل الإعلامية لتلبي احتياج الدولة في إيصال أهدافها وغاياتها ورغباتها اين كانت نوازعها، إلى العامة بقصد التأثير عليه وتوجيهه باتجاه يتوافق مع توجهات سياسة الدولة، وهذه الوسائل الإعلامية التقليدية حققت للدولة العثمانية هذا الغرض، دون أن تكلفها التزامات مادية عند استخدامها، كونها وسائل دارجة في أعراف المجتمعات وأعرافهم على اختلاف مشاربهم واجناسهم.

اختلفت وسائل الإعلام التقليدية في ولاية الحجاز عن بقية الولايات العربية الخاضعة للدولة العثمانية، وهذا الاختلاف يعود في الأساس لوجود المقدسات الإسلامية في ولاية الحجاز، وهذا منح الدولة العثمانية الفرصة المواتية التي ترغب بها لتحقيق أكبر قدر من الفائدة من وجود المقدسات، التي منحت العثمانيين الصفة الشرعية والمشروعية لزعامة العالم الإسلامي باعتبارها الدولة الإسلامية الوحيدة حامية بيضة الإسلام، وكان من الطبيعي أن يرتبط نوعية الإعلام التقليدي في الحجاز ببعض الشعائر الدينية المهمة مثل فريضة الحج السنوية وما يرتبط بها من فعاليات وطقوس دينية، حاول العثمانيين استغلالها إعلاميًا لتثبيت شرعيتهم السياسية، ثم توطيد مشروعيتهم الدينية وسيادتها التي توزعت بين الوجود الفعلي من خلال السيطرة المباشرة على المناطق العربية والإسلامية، وبين الوجود الاسمي لدى الشعوب الإسلامية التي لم تخضع لحكم العثمانيين.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في إثارة سؤال رئيسي كيف ساهمت وسائل الإعلام التقليدية في تشكيل الهوية الإسلامية لدى الحجاج في الحجاز خلال العهد العثماني؟

ومن هذا السؤال تتفرع الأسئلة الفرعية الآتية:

- كيف أثرت وسائل الإعلام التقليدية على الوعي الاجتماعي في الحجاز؟
- وما الغاية الإعلامية من هذه الوسائل الإعلامية التقليدية في الحجاز؟
- وكيف استخدم العثمانيين هذه الوسائل الإعلامية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة بصورة أساسية أنها إضافة جديدة ومتخصصة في مجال الاهتمام بدراسة وسائل الإعلام التقليدي في الحجاز، ورفد المكتبة اليمنية والعربية بدراسة جديدة تتناول التاريخ لوسائل الإعلام التقليدية في الحجاز.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

١- التعرف على الإعلام التقليدي وأهميته.

٢- دراسة دور وسائل الإعلام التقليدي في تشكيل الهوية الإسلامية لدى الحجاج.

٣- استعراض توظيف العثمانيين للخدمات المقدمة للحرمين الشريفين إعلاميًا.

٤- معرفة استخدام العثمانيين لنماذج من وسائل الإعلام التقليدية في الحجاز.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة اعتماد الباحث على منهج البحث التاريخي لتوصيف هذه الوسائل الإعلامية التقليدية وتحليل عملية استخدامها.

فرضيات الدراسة:

كانت وسائل الإعلام التقليدية أداة للتعبير عن الشرعية الدينية للدولة العثمانية في قيادة العالم الإسلامي.

- لعبت وسائل الإعلام التقليدية دورًا في تعزيز روح الأخوة الإسلامية بين الشعوب التي تحكمها الدولة العثمانية مع الشعوب الإسلامية الأخرى غير الخاضعة لها.

محاور الدراسة:

تضمنت الدراسة المحاور الآتية:

المقدمة: تضمنت مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها.

المحور الأول: مدخل تمهيد.

المحور الثاني: دود وسائل الإعلام التقليدية في تشكيل الهوية الإسلامية لدى الحجاج.

المحور الثالث: توظيف العثمانيين للخدمات المقدمة للحرمين الشريفين إعلاميًا.

المحور الرابع: نماذج من استخدام العثمانيين لوسائل الإعلام التقليدية في الحجاز.

المحور الأول: مدخل تمهيد:

تعد الحجاز إحدى الولايات العثمانية المهمة في الجزيرة العربية نظرًا لمكانتها الدينية[١]، رافق ذلك اهتمام بالدين الإسلامي واحترام المذاهب الإسلامية الأربعة (المالكي، الحنفي، الشافعي، الحنبلي)، وكان

(١) الكليبي، بكيل محمد. تطور الطباعة في ولاية الحجاز العثمانية (١٨٨٣-١٩١٨م). **مجلة الآداب**، ٢(١١)، جامعة ذمار، (٢٠٢٣م)، ٦٤٤.

السلطان العثماني يعد نفسه زعيمًا يمثل العالم الإسلامي، وهذه الولاية منحت العثمانيين هذه الزعامة[١]، الروحية نظرًا لما تمثله المقدسات الإسلامية من مكانة دينية تضفي عليهم الصبغة الشرعية[٢].

شهدت ولاية الحجاز في العهد العثماني تطورًا مهمًا في مجال تنوع وسائل الإعلام التقليدي، الذي بمقتضاه تشكلت العلاقة بين الدين والسياسة، فغدت عنصرًا أساسيًا في تركيبة الوجود العثماني نفسه في الحجاز، وهذا الاتجاه لم يكن بعيدًا عن طبيعة الدولة العثمانية منذ بدايتها، وحتى أفول نجمها، وبمقتضى ذلك ظهرت قوة الدولة العثمانية التي كان الدين الإسلامي المحرك الديناميكي لعقلها السياسي، الذي استطاع إنجاز مشروعه الإمبراطوري على قاعدة خدمة السياسة للدين، وقد نتج عن هذا التزاوج بروز هيمنة العثمانيين لقرون طويلة، مستفيدين من تجارب الدول الإسلامية التي سبقتهم[٣]، ومع امتلاك العثمانيين الخبرة الكافية لتوظيف الدين في خدمة المصلحة، وقد سعوا إلى الاستفادة من كل المقومات الثقافية والذهنية، والبنى الاجتماعية، إضافة إلى مكانة الحجاز الدينية باعتباره موروثًا إعلاميًا يصعب تجاوزه نظرًا للخصوصيات السالفة التي تتمتع بها ولاية الحجاز حتى اليوم[٤]، وقد استطاع العثمانيون استخدام وسائل الإعلام التقليدية في الحجاز بطريقة أو بأخرى، رغبة في تفسير الأحداث، وتكوين رأي عام مساند لوجودهم[٥]، وقبل الخوض في هذا الجانب ثمة سؤال تبادر إلى ذهن الباحث يتعلق بماهية الإعلام التقليدي، وماهي أهميته وماهي وسائله؟ وللإجابة عن ذلك لابد من استعراض ماهية الإعلام التقليدي.

تعريف الإعلام التقليدي:

عرف أحد الباحثين المهتمين الإعلام التقليدي: بأنه مجموعة من الوسائل الإعلامية المحلية دارجة في المجتمع تضم عادات وتقاليد المجتمعات في عملية نقل الأخبار قبل تطور وسائل الإعلام الحديثة[٦]، وعرفت الموسوعة الحرة ويكبيديا الإعلام التقليدي: بأنه مجموعة من الوسائل الإعلامية، متمثلة في عادات وتقاليد موروثة تعمل كوسائل اتصال لنقل الأخبار، أما مفهوم مصطلح التقليدي فالمقصود به التعبير السائد

(١) الكليبي، بكيل محمد. الدين والسياسية في وثيقة فتوى علماء المغرب العربي ضد السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م). **مجلة الآداب**، ٢(١٢)، جامعة ذمار، (٢٠٢٤م)، ٢٠٥.

(٢) الأشول، محمد فيصل. علاقة الدولة القاسمية في اليمن بأشراف الحجاز (١٠٥٠-١١٠٠هـ/١٦٥٠-١٧٠٠م). محمل الحج اليمني أنموذجًا، **مجلة الآداب**، ع١٢، جامعة ذمار، (٢٠١٩م)، ٢٤٦.

(٣) متين شريف أوغلو: جدلية الدين والسياسة في الدولة العثمانية وانعكاساتها على تجربتها الدستورية، مجلة الفواتير الاجتماعية، عدد (٧٢٠٢ -٢٥٦٤)، أنقرة. تركيا، مايو ٢٠٢١م، ص٧٢.

(٤) شريدي، سعد. دور المشيخة في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية ق ١٦-١٩م). **مجلة منتدى الاستاذ**، ع١٨، د. م، (٢٠١٦م)، ٢٥١.

(٥) الكليبي، بكيل محمد. الإعلام العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م). **رسالة ماجستير**، كلية الآداب، جامعة ذمار، (٢٠٢٠م)، ٤٩.

(٦) المتوكل، محمد عبد الملك. الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، مطابع الطبجي التجارية. القاهرة، ط١، (١٩٨٣م)، ١٣؛ الكليبي، بكيل محمد. مرجع سابق، ٤٩.

والبدائي في المجتمع، في عملية نقل الأخبار من مكان إلى آخر، وهذه الوسائل كانت موجودة في مجتمعات الجزيرة العربية قبل ظهور وسائل الإعلام الحديثة[١]، وقد شكلت هذه الوسائل الموروثة رأي عام، يعبر عن حال المجتمع وتوجهاته، وبما أن العثمانيين بعد دخولهم البلاد العربية أبقوا كل ما هو قديم على قدمه دون التدخل في إحداث فارق جديد للتحديث أو التطوير، فكان لزامًا عليهم استخدام الموروث الإعلامي التقليدي، وفق مقتضيات الحاجة إليه آنذاك[٢]، وقد شكلت طبيعة الحجاز الدينية، واحتضانها المقدسات الإسلامية، دورًا إعلاميًا تقليديًا نابعًا من مكانتها الدينية التي استفاد منها العثمانيون لإضفاء الشرعية على مشروعهم السياسي باعتبارهم حماة بيضة الإسلام ومقدساته[٣]، حيث يعد الحج من أهم الوسائل الإعلامية التقليدية كون الاجتماع فيه لا يخلو من تثاقف الأمة ونقل أخبارها الأدبية والعلمية والمادية[٤]، وعلى هذا الأساس فإن الإعلام التقليدي عبارة عن مجموعة من الأعراف والتقاليد التي كانت موجودة في المجتمع واستخدمت لنقل الأخبار، وتتباين استخدام هذه الوسائل الإعلامية من مكان إلى آخر بحسب الحاجة، ونوعية الغرض المراد إيصاله بغية نشر وإذاعة الأخبار المختلفة.

أهمية الإعلام التقليدي في الحجاز:

لعبت المكانة الروحية للحجاز دورًا في تكالب الأطماع عليها منذ القدم نتيجة لما تمثله من مكانة دينية إعلامية لكل من يسيطر عليها، فقد تنبه الأحباش في اليمن لهذه المكانة الإعلامية المرموقة للحجاز خاصة أن قوافل الحجاج، كانت تذهب إليها في كل موسم دون انقطاع ناهيك عن الدعاية الإعلامية التي ترافق ذلك من جهة، وتثير الأطماع من جهة أخرى، للقضاء على الهالة الإعلامية الكبيرة التي يشكلها الحج، بغية حرف مسار الحج من الحجاز إلى صنعاء لكنهم فشلوا في ذلك[٥]، وغير بعيد عن أطماع الأحباش، فقد حاولت الدول الإسلامية المتعاقبة السيطرة على الحجاز للاستفادة من المكانة الدينية لها التي توفر دعاية إعلامية ومشروعية سياسية دينية لمن يظفر بالسيطرة عليها[٦]، وقد أدرك العثمانيين أهمية الإعلام الذي تحظى به ولاية الحجاز لذلك عملت الدولة العثمانية بكل جهد على الحفاظ عليها

(1) https//ar.Wikipedia.Org.

(٢) الكليبي، بكيل. مرجع سابق، ٤٩.

(٣) الحمدي، صبري فالح. أخبار الحجاز في كتب الرحلات والوثائق الروسية المنشورة (١٨٧٩-١٩٠٧م). **مجلة كلية الآداب**، ع١٠٦، العراق، (٢٠١٣م)، ٣١٩-٣٢٠.

(٤) البتنوني، محمد لبيب. **الرحلة الحجازية لولي النام الحاج عباس حلمي باشا خديوي مصر**. مطبعة الجمالية: مصر، ط١، (١٣٢٩هـ)، ١٥٠.

(٥) بن فهد، النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد. **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**. ج١، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ط١، د. ت، ٢١.

(٦) الزهراني، عائض محمد عائض. الحجاز في عهد الشريف حسن بن عجلان دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية ٧٩٧-٨٢٩هـ/١٣٩٤م-١٤٢٥م). **رسالة ماجستير**، في التاريخ الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، (١٤١٣هـ)، ١٥٢.

واستخدمت شتى الوسائل من أجل بقاء الحجاز تحت سيطرتها نتيجة لما تمثله من مكانة دينية في العالم الإسلامي، يرد عليها بالعديد من المنافع المادية والمعنوية، بوصفها ظاهرة إعلامية تقليدية، وإن جاز التعبير تضفي على العثمانيين الصفة الشرعية ليس بكونها تمثل قائدة العالم الإسلامي وحسب، إنما بكونها رمزًا ومكانًا مقدسًا لدى كل المسلمين يجب الحفاظ عليها وعلى قداستها، وهذا ما جعل العثمانيون يظهرون حساسية شديدة وغيرة كبيرة في المحافظة على بقاء هذه الولاية تحت نفوذهم، فقد اعطتهم مكانه إعلامية تمتعت بها الدولة طوال فترة حكمها، ومكنتها من السيطرة والنفوذ الشرعي ليس فقط في الحجاز بل في أكثر مناطق العالم الإسلامي، وكان ذلك واضحًا خلال الفترة التي اعترتها الضعف عندما عمدت إلى استخدام الراية المعنوية (الإعلام التقليدي)، لإعادة إخضاع العالم الإسلامي الذي بدأ يخرج عن سيطرتها[1]، وعلى أية حال فقد لعبت ولاية الحجاز دورًا إعلاميًا تقليديًا صب في خدمة مصالح الدولة العثمانية نتيجة لأهميتها الدينية في العالم الإسلامي واحتضانها الحرمين الشريفين، حيث استطاع من خلالهم العثمانيون تحقيق دعاية إعلامية مؤثرة نظرًا لأنها موطنًا للعديد من المسلمون الذين يقصدونها سنويًا للحج، ومنها يؤكدون شرعيتهم الدينية والسياسية في آن[2]، وهذه المكانة هي التي دفعت العثمانيين للاهتمام بالحجاز وحرصهم المستمر على بقائها تحت أيديهم لتحقيق الشرعية الدينية والسياسية في العالم الإسلامي على ما يبدو.

المحور الثاني: دور وسائل الإعلام التقليدية في تشكيل الهوية الإسلامية لدى الحجاج

تعددت وسائل الإعلام التقليدية وتنوعت في ولاية الحجاز، حسب الحاجة ونوعية الاستخدام، وهذا التنوع عكسته الطبيعة المكانة الروحية، لولاية الحجاز نفسها التي لا تضاهيها ولاية عثمانية أخرى من حيث المكانة الدينية، وما تمثله من قداسة لكل سكان العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، وهذا جعل العثمانيين يستفيدون من المقدسات الإسلامية، إعلاميًا لتبرير تواجدهم في الحجاز من جهة، واضفاء المشروعية السياسية والدينية في قيادة العالم الإسلامي من جهة أخرى، وتحقيق أكبر قدر ممكن الدعاية الإعلامية من خلال استخدام هذا الموروث الإعلامي التقليدي الديني، الموغل في القدم، إذ بلغت العلاقة بين الدولة، والدين حد التماهي، والتدخل السياسي المباشر في بعض الأحيان، وهذا الإعلام الديني اكسب الدولة العثمانية الهوية الإسلامية ذات النكهة التركية مستمدة مشروعيتها من الدعاية الإعلامية المؤثرة داخل الحرمين الشريفين، مستغلة سيطرتها المباشرة على المقدسات الإسلامية في الحجاز، لبث توجهاتها وسياستها، من خلال الاستغلال الأمثل لمنابر الحرمين وتوجيههما وفقًا لأجنداتها التي رغبت بها

(١) جارشلي، إسماعيل حقي. **أشراف مكة المكرمة وأمرؤها في العهد العثماني**. ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات: بيروت، د. ط، (٢٠٠٣م)، ٧.

(٢) الحمدي، صبري فالم. مرجع سابق، ٣٢٠.

بما يخدم مصالحها حسب المواتية التي وفرتها ظروف وطبيعة مكانة الحجاز الدينية[١]، فكانت عدة وسائل استخدمها العثمانيين في الحجاز لتشكيل الهوية الإسلامية منها:

دور الحج إعلاميًا في تشكيل الهوية الإسلامية:

يمثل الحج شعيرة دينية وظاهرة إعلامية، سياسية واجتماعية في آن معًا، على الرغم من كونه اعتقادًا دينيًا، وهذه الظاهرة تمثل بطبيعة الحال ترابطًا وثيقًا في حياة المسلمين العادية، فكل الحجاج يتسابقون في وقت محدد للمشاركة في هذه التظاهرة الدينية الإعلامية في أوقاتها المعلومة والمحددة رغم ارتفاع تكاليف القيام بذلك على الأفراد فالتخلف عن الوقت المحدد يعني ذهاب الجهود والتكاليف سدى، إلى جانب أن الحج عائد على جهود شخصية للفرد الذي يتحمل المتاعب للوصول إلى المشاعر المقدسة لتأدية هذه الفريضة الدينية، إلا أن هذا الجهد الشخصي يتحول مع مجموع الراغبين في تأدية هذه الفريضة من عموم العالم الإسلامي، حيث تتحول الجموع، إلى وسيلة إعلامية تقليدية تحقق عملية الاتصال والتواصل بين عموم المسلمين، ينتج عنها نقل الأخبار والعادات والتقاليد وبعض المعارف، والمفاهيم المختلفة من خلال تظاهرة إعلامية دينية تمثل إرثًا تاريخيًا إعلاميًا له بعده السياسي والاجتماعي، كونه جزء من تاريخ العلاقات الإنسانية بين الشعوب الإسلامية، ويشكل وسيلة إعلامية تقليدية بصورة أو بأخرى، العملية الاتصال لنقل الثقافات المادية وغير المادية[٢]، من هنا لابد من معرفة ماهية الحج؟

يُعرف أهل اللغة الحج بقولهم: بأنه عقد مطلق[٣]، ويقال أيضًا هو كثرة القصد لمن تعظمه وترجوا مغفرته[٤]، وقيل الحج هو القصد أي حج إلينا فلان أي قدم وحجة بحجة حجًا: أي قصد هدفه[٥]، أما التعريف الاصطلاحي: هو زيارة مكان مخصوص له وقت، وزمن معلوم ومحدد بقصد الزيارة والطواف، والوقوف بعرفة، والمقصود بالمكان المخصوص هو البيت الحرام في مكة المكرمة والجبل المسمى بجبل عرفة، أما الزمن فهي أيام الحج من شهر ذي الحجة من كل عام[٦]، والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ومن خلاله يشكل المسلمين تظاهرة دينية إعلامية يميزها الجمع الغفير من المسلمين الذين قصدوا مكة

---

(١) أوغلو، متين شريف. مرجع سابق، ٧٢.

(٢) فاروقي، ثريا. **حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين**. ترجمة: أبوبكر أحمد باقادر، منشورات الجمل، المركز الدولي للخدمات الثقافية: بيروت، ط١، (٢٠١٠م)، ١٥-١٦.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. **تاج العروس**. ج٥، تحقيق: إبراهيم الترزي، دار التراث العربي: الكويت، (٢٠٠٠م)، ٤٥٩.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **العين**. ج١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط٢، (٢٠٠٣م)، ٢٨٦؛ محمد مرتضى الزبيدي: مصدر سابق، ٤٥٩.

(٥) أبن منظور. **لسان العرب**. ج٢، تعليق: على شبري، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي: بيروت، ط٣، (١٩٩٩م)، ٢٨٦.

(٦) الحلبي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم. **مجمع الأنهر في شرح الأبحر المنتقى في شرح الملتقى**. ج١، تحقيق: شيخي زادة؛ العلاء الحصكفي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٩٩٨م)، ٣٨٢؛ المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجم. **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**. ج٢، تحقيق: الشيخ زكريا عمران، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٩٩٧م)، ٥٣٧.

المكرمة لتأدية طقوسهم الدينية وهي عبادة بدنية مثل الصلاة والصيام، وعبادة الإنفاق في سبيل الله، ومجاهدة النفس والبدن لتحقيق رضا الله(١).

يعد الحج من الشعائر الدينية العظيمة في الدين الإسلامي والركن الخامس في هذا الدين القويم، ويشكل رمزية دينية قوية ذات مضامين إعلامية تظهر عملية التلاحم الوثيق بين المسلمين، باعتباره أداة تواصل، وتقارب بين شعوب العالم الإسلامي المختلفة، إذ ترحل قوافل الحجاج إلى الحرمين الشريفين كل عام لتأدية مناسك الحج جنبًا إلى جنب أعداد هائلة من المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغتهم من كل اصقاع الدنيا يكابدون عناء السفر للظفر بموسم الحج، الذي أولاه العديد من الخلفاء والسلاطين والملوك اهتمامًا كبيرًا لتحقيق رغبتهم في الاستئثار بالدعاية الإعلامية الدينية التي تضفي عليهم مشروعية دينية لدى شعوب العالم السلامي، وقد ورث العثمانيون مسؤولية الإشراف على الحرمين الشريفين بعد أن تمكنوا من اسقاط الدولة المملوكية في مصر عام (١٥١٧م)، وأصبحت فريضة الحج ضمن أهدافهم السياسية لتحقيق السيادة والزعامة على العالم الإسلامي عن طريق استغلال تأثير الحج الإعلامي ليؤكدوا بذلك مشروعيتهم في تلك الزعامة دون منازع(٢)، إذ استخدمت هذه الشعيرة كظاهرة إعلامية استطاعت الدولة العثمانية توظيفها لتثبيت شرعيتها كقوة تمتلك المؤهل الشرعي الذي يلقى ترحيبًا كبيرًا بين شعوب العالم الإسلامي، وقد حاول السلطان عبدالحميد إبراز العاطفة الدينية لمواجهة التحديات التي واجهت الدولة العثمانية وهددت بقاءها فلجئ السلطان إلى جعل الرابط الديني وسيلة لجمع الأمة تحت حكمه، وجند لذلك العديد من العلماء(٣)، يقول أحد الرحالة واصفًا مكانة الحج الإعلامية بقوله: "أعتقد بأن ذلك الحشد العظيم من الناس الذي يذهب كل سنة للحج إنما يذهب في حقيقة الأمر الي سوق كبير أو مهرجان تسويقي كبير يقصد هناك لكن بعد قيامي بتلك الرحلة أيقنت بأن الأمر ليس كذلك في الحقيقة"(٤)، وتزداد أهمية الحج الإعلامية كونه من الوسائل المهمة في نقل الأخبار عن طريق الحجاج الذين يأتون إلى الحج من بلدان ورحلات مختلفة، وينقلون معهم الأخبار والأفكار التي تستدعي الاهتمام، وقد أشار إلى ذلك أحد الرحالة في معرض حديثه عن الأخبار التي تتناقل في الحج أن الجالية الجاوية (في اندونيسيا حاليًا)، يتناقلون أخبار الاحتلال الهولندي، في هذه المناطق فعند سؤال الحجاج القادمين من هناك من قبل الافراد المقيمين في مكة عن أوضاع إقليم (التشي في اندونيسيا حاليًا)، يجيب بالطبع أن

(١) عتر، نور الدين. **الحج والعمرة في الفقه الإسلامي**. مؤسسة الرسالة: بيروت، ط٤، (١٩٨٤م)، ١١.

(٢) حسين،نمير. ركب الحج والصرة السلطانية بين القرنين (١٦-١٩م). **رسالة ماجستير**، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى أسطنبولي، بسكره، الجزائر، (٢٠١٩م)، ١-٢.

(٣) صديق، آمال رمضان عبد الحميد. الحج وأثره على مجتمع المدينة المنورة من خلال كتب الرحالة ابان الحكم العثماني للحجاز. **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٣٩، المدينة المنورة، د.ت، ١١٥.

(٤) كين، جون فراير. **رواد الشرق العربي ستة أشهر في الحجاز رحلتان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في عام (١٨٧٧-١٨٧٨م)**. ترجمة: أنعام أيبش، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة إصدارات دار الكتب الوطنية: أبوظبي، ط١، (٢٠١٢م)، ٢٤.

السكان المحليين قد عملوا على إخراج الاستعمار الهولندي وبانتظار اليوم الذي ننتهي من احتلالهم[١]، ويضيف على ذلك أنه لا يمكن القبول برأي عدد من موظفي حكومات المستعمرات الذين يتوجسون من تجمع الحجاج في الحرمين الشريفين، حيث ينظر لهؤلاء الحجاج على أنهم أعداء للحكومات الاستعمار القائمة، سواء في (الهند أو اندونيسيا)، ومرد ذلك التوجس يعود إلى شعور المستعمر بحجم الدعاية الإعلامية ضده، الأمر الذي يحمس الحجاج بعد عودتهم لإشعال الثورة خاصة إذا وجد من بين الحجاج من ينقل الحماس الإعلامي الذي وجد في المشاعر المقدسة ضد المستعمرين فتثور الشعوب ضد المحتل، خاصة أن مؤهلات نجاح ذلك موجوده في الواقع، كون مصالح الاستعمار متقاطعة ومتناقضة مع مصالح الحجاج لأن الكثير من الحجاج يعودون إلى ديارهم وقد حملوا لواء الإخلاص للرابطة الإسلامية التي يمكنها أن تثير لدى السكان المحليين التعصب الديني بسهولة ضد المستعمر الذي يغتصب بعض مناطق العالم الاسلامي[٢]، وهذا الدور الإعلامي للحج تثبته الطريقة الإعلامية التي توجه الرأي العام للحجاج عن طريق اللعب بمشاعر المسلمين وإثارة حماسهم الديني[٣]، وكانت الدولة العثمانية تولي اهتمامًا كبيرًا بالحرمين الشريفين وتعول على شريف مكة والوالي القيام بمهام حفظ وتأمين الحج الذي يسوغ مشروعيتها الدينية إعلاميًا[٤]، لذلك عمل العثمانيون بكل قوة وتمسكوا بالسيطرة على الحجاز نتيجة أهميتها المعنوية والإعلامية، وابدت الدولة العثمانية غيرة شديدة في المحافظة عليها، وبما أن المقدسات الإسلامية في الحجاز هي سبب قيام المشروعية الدينية (الخلافة العثمانية) على العالم الإسلامي فإن العثمانيين، وبصورة خاصة خلال فترات الضعف التي اعترت الدولة، كانوا حذرين أمام آية حركة أيًا كانت قدرتها، حتى ولو كانت بسيطة، في الحجاز، فقد كانوا ينظرون إليها على إنها قد تفسد الرابطة المعنوية، والدعاية الإعلامية لمشروعيتهم لذلك حرصوا حرصًا شديدًا على حفظ الأمن في الحرمين الشريفين في مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة وعموم الحجاز[٥]، وهنا يتبادر إلى ذهن الباحث سؤال كيف استخدم العثمانيون الحج إعلاميًا؟ وللإجابة الموضوعية على ذلك يمكن رصد استخدام العثمانيين الدعاية الإعلامية لمشروعهم السياسي في الحج على النحو الآتي:

---

(١) خرونيه، ك. سنوك هور. صفحات من تاريخ مكة المكرمة. ج٢، ترجمة: علي عودة الشيوخ، دارة الملك عبدالعزيز: الرياض، ط٢، (١٤١٩هـ)، ٥٧٥-٥٧٦.

(٢) خرونيه، ك. سنوك هور. مصدر سابق، ج٢، ٦٢٩-٦٣٠.

(٣) الرشيدي، حياة مناور فرحان. دور الحج في اثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين مكة وبلاد الشام في ظل الدولة العثمانية من خلال حكم ال العظم، **مجلة العلوم العربية والإنسانية**، ٣١(٩)، جامعة القصيم، السعودية، (٢٠١٦م)، ١٤١٧.

(٤) العبدلي، هاني زامل مهنا. الحج إلى الأرض المقدسة خلال القرن التاسع عشر موسم (١٨٨٤م). نموذجًا، **مجلة كان التاريخية**، ع٣٦، مؤسسة كان التاريخية، (٢٠١٧م)، ١١.

(٥) جارشلي، إسماعيل حقي. **أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني**. ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات: بيروت، (٢٠٠٣م)، ٧.

الصدى الإعلامي لمحامل محامل الحج:

عرف الباحثون محمل الحج بأنه: الاسم الفعلي لكل تلك الحاملة التي يسافر بها الحجاج على ظهر الجمل، وتبدو على أشكال وألوان مختلفة بحسب تجهيزها، وقد استعمل كلمة محمل منذ عدة قرون لترمز إلى الصناديق المطرزة بالحلي، التي تحوي كسوة الكعبة المشرفة، والحجرة النبوية التي يرسلها الخلفاء المسلمين سنويًا أثناء موسم الحج(١)، وفي تعريف آخر للمحمل: هو الهوادج الذي تحمله الجمال، وقد اتخذ شعارًا إعلاميًا لكل محمل(٢)، يميزه الألوان المختلفة التي بواسطتها يتم التفريق بين محمل وآخر، وأطلق على الناقة التي كانت تحمل النبي صلى الله عليه واله وسلم، وتحمل أغراضه أثناء الرحلات اسم المحمل الشريف(٣)، ومن هنا جاءت فكرة تسمية المحمل الشريف، وقبل استعراض الدور الإعلامي لمحامل الحج لابد من تناول التطور التاريخي لهذه الظاهرة الإعلامية خلال التاريخ الإسلامي، كون الحج من أهم الشعائر الإسلامية بعد الصلاة، وفريضته تقتضي بالمسلم المقتدر الذهاب إلى بيت الله الحرام، ويذكر أحد المؤرخين أن أول من تلقب بأمير الحج هو الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، الذي قاد الحج في السنة التاسعة للهجرة الموافق (٦٣٠م)، في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هذا التاريخ أصبحت إمارة الحج واجبة، ومنوطة بالخلفاء(٤)، وقد اهتم العباسيون بأمر الحج لما يمثله من ثقل، ووزن معنوي إعلامي يضفي الشرعية الدينية عليهم، فكان خروج محمل الحج من بغداد إلى الحرمين الشريفين تعد من المراسيم المهمة، التي تجرى فيها الاحتفالات، وقد زاد هذا الاهتمام في الفترات التاريخية للدولة العباسية(٥)، ونتيجة لأهمية الدعاية الإعلامية التي تحققها محامل الحج في إثبات السند الشرعي للدولة أيًا كانت تنافس العباسيين، والفاطميين في تولي إمرة الحج الذي غدت من أهم الوظائف وأمام هذه المنافسة فرضت شروط لمن يتولى هذه الوظيفة منها أن يكون عالمًا بأمور الشريعة لإرشاد الحجاج بمشاعر الحج والعمرة إلى جانب ما يتميز به من العدالة والأمانة والرأي والشجاعة، والقدرة على تطبيق الأحكام الشرعية، وتوفير الخدمات للحجاج الذين في الطريق(٦)، وقد تنبه المماليك لأهمية محامل الحج ودورها في بث الدعاية الإعلامية الدينية لهم في العالم

(١) خرونيه، ك. سنوك هور. مصدر سابق، ج١، ١٨٢.

(٢) المكي، حمد طاهر الكردي. **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**. ج٥، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر: بيروت، ط١، (٢٠٠٠م)، ١٨٩.

(٣) باشا، محمد صادق. **وصف مكة المكرمة كما ورد في مصنف مكة المكرمة أم الدنيا**. ترجمة: تنسيم محمد حرب، مركز التاريخ العربي للنشر: تركيا، (٢٠١٩م)، ١١٨-١١٩.

(٤) عامر، سميرة فهمي علي. **تاريخ المصريين إمارة الحج في مصر العثمانية ٩٢٣-١٢١٣هـ-١٥١٧-١٧٩٨م)**. الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط١، د.ت، ٦٧-٦٩.

(٥) فهد، بدري محمد. تاريخ امراء الحج. **مجلة المورد العراقية**، م٤(٩)، بغداد، (١٩٨١م)، ١٩٢.

(٦) مالكي، سليمان عبد الغني. بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري. **أطروحة دكتوراه**، في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، (١٩٨١م)، ١٠٧-١٠٨.

الإسلامي فقسموا محامل الحج إلى قسمين القسم الأول عينوا عليه أميرًا وأطلقوا عليه لقب أمير الركب وهذا اللقب أطلق على أول قافلة سافرت إلى الحج، أما القسم الثاني: أطلق عليه أمير ركب المحمل، وكان لا يستقر في هذه الوظيفة إلا من كان برتبة أمير (مائة مائه مقدم ألف)، بينما كان زميله في القسم الأول برتبة أمير عشرة[١]، وبعد أن تمكن العثمانيون من السيطرة على دولة المماليك في مصر، وآلت إليهم السيادة على الحجاز اهتموا بالحج ومحامل الحج باعتبارها من وسائل الدعاية (الإعلامية) الدينية التي تضفي عليهم الصفة الشرعية، وكان يتم تعيين أمراء الحج بمراسيم رسمية يتم فيها إصدار (فرمان سلطاني)، لأمير الحج، كل عام وأحيانًا عامين، أو أكثر حسب الكفاءة التي يظهر بها الأمير، في قيادة محمل الحج الذي يكتسب مكانه دينية واجتماعية[٢].

كانت ترافق المحمل قوة عسكرية لحمايته، ويصدر بهم وبرئيس هذه القوات أمرًا عسكريًا، وقد يصل عددهم إلى (١٨٠) ضابطًا، وصف ضابط وعسكري ومن ضمنهم عدد (١٤) فردًا يعزفون على الآلات الموسيقية المرافقة للمحمل[٣]، وكانت نظرة العثمانيين للدور الإعلامي والدعاية التي تقوم بها محامل الحج على انها رمزًا تظهر سيادة العثمانيين على الحجاز بوجه خاص والعالم الإسلامي بوجه عام منذ سيطرتهم على الحجاز عام (١٥١٧م)، وقد أضافوا إلى المحملين التقليديين المصري والشامي محملًا ثالثًا جديدًا يأتي من العاصمة اسطنبول، وقد طلب والي اليمن عام (١٥٥٦م)، بأن تسمح الدولة العثمانية بتجهيز محمل آخر على غرار محامل الشام ومصر[٤]، وقد رتب والي اليمن (مصطفى باشا النشار)، بموافقة السلطان سليمان القانوني، وتم تجهيز محمل الحج اليمني بالخلع، ومعه خلعة من جانب السلطان وخصصت لمحمل الحج اليمني منطقة خاصة به في مكة على يمين الداخل إلى مكة في (ثنية الحجون)، ولم يزل المحمل اليمني كذلك إلى أن بطلت الخلعة والمحمل من عام (١٠٤٩هـ) الموافق (١٦٣٩م)، ويرجع السبب إلى تغيرات الأوضاع السياسية في اليمن بعد خروج العثمانيين من اليمن[٥]، كما أن سوء الأوضاع أدى إلى إهمال محمل الحج اليمني[٦]، ويرى الباحث أن إهمال محمل الحج اليمني لم يكن نابعًا من تغير الأحوال السياسية في

(١) عامر، سميرة فهمي علي. مرجع سابق، ٦٩-١٠٣.

(٢) ملوك، فايزة محمد محمد حسن. موقف الإدارة العثمانية من التسلط الاقتصادي لأمراء الحج في القرن الثامن عشر. دراسة من خلال تركتي علي بك قطاش ومحمد بك قطاش المعروف بقطامش، **المؤتمر الدولي الخامس العرب والترك عبر العصور**، د. م، د. ت، ٤٨٥.

(٣) باشا، إبراهيم رفعت. مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية. ج١، مطبعة دار الكتب المصرية: القاهرة، ط١، (١٩٢٥م)، ٥.

(٤) خرونيه، ك. سنوك هور. مصدر سابق، ج١، ٢١٠.

(٥) الكردي، محمد طاهر. مصدر سابق، ج٥، ١٩٤.

(٦) باشا، محمد صادق. مصدر سابق، ١١٨.

اليمن أو تقصير في استعمال المحمل بل يعود إلى إهمال الاهتمام به من قبل القائمين على شرافة مكة لأن محمل الحج اليمني لم يكن له أهمية تذكر تضاهي محامل الحج الأخرى كالمحمل الشامي والمصري اللذين ازدهر دورهما حتى نهاية الوجود العثماني نفسه في الحجاز.

دور محمل الحج المصري في التأثير على الوعي الاجتماعي في الحجاز:

لعب محمل الحج المصري دورًا إعلاميًا كبيرًا، فقد كان يحظى باهتمام كبير من قبل الدولة العثمانية، وولاية مصر العثمانية، إذ يقول: أحد المؤرخين المرافقين لأحد محامل الحج المصري: أن محمل الحج المصري يشكل دعاية إعلامية كبيرة يتضح ذلك من خلال منصب أمير المحمل الذي يحتل المرتبة الثالثة، في مراتب قيادة ولاية مصر، ففي عهد المماليك كان أمير المحمل مرشحًا لوظيفة حاكم العاصمة القاهرة، وهذه تُعد من أهم الوظائف بعد وظيفة الوالي والسلطان، وله رأي مسموع وكلمة محترمة، نظرًا لأن تكليفه بهذه المهمة في العهد العثماني لا يأتي من والي مصر بل يوليه السلطان العثماني بفرمان يحظى من خلاله بمكانة عالية وكلمة نافذة في ولاية الحجاز التي يصل إليها أميرًا للحج، وفي بعض الأحيان كان يتم عزل أمير محمل الحج المصري، وتكليف أحد أشراف مكة[1]، وعلى ما يبدو أن هذه المكانة التي يحظى بها أمير المحمل نابعة من أهمية الدور الإعلامي لمحمل الحج المصري الذي كان يحظى بهالة إعلامية كبيرة منذ بداية انطلاقه التي تكون مصحوبة بالاحتفالات الرسمية الكبيرة، وما يؤكد المكانة الإعلامية لمحمل الحج المصري ما أوردته أحدى المجلات التي تناولت خبر الاحتفال بمراسيم المحمل قبل سفره إلى السويس، فقد جرت العادة أن تقام احتفالات ومراسيم كبيرة، في القاهرة لاستقبال موكب الأبهة الإعلامية تقليدًا سائدًا عند الإعداد لمحامل الحج، ويقع في ذلك اختيار جمل من أفضل السلالات في مصر لحمل هودج المحمل، وكان ينظر لمثل هذا الإجراء وسيله لتحقيق الدعاية الإعلامية ومن خلالها ينظر إلى خديوي مصر بصفته حاميًا للأراضي المقدسة باسم السلطان العثماني الذي يولي اهتمام كبير لمحمل الحج المصري، الذي يحمل كسوة الكعبة، التي يحتفل بها في موكب ترافقه قوات من الجيش وفرق الموسيقى وطلقات من المدافع بقصد التحية[2]، وتجدر الإشارة إلى أن محمل الحج المغربي في العهد العثماني كان يمر بثلاث مراحل ويصل إلى القاهرة ويندمج مع محمل الحج المصري[3].

---

(١) محمد لبيب البتنوني: مصدر سابق، ص١٤٤.

(٢) كحيل، فريد قومجي؛ غرهام، روبرت. **مصور في الحج رحلات محمد أفندي السعودي (١٩٠٤-١٩٠٨م)**. ترجمة: يسرى خريس، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: أبوظبي، ط١، (٢٠١٢)، ٣٤.

(٣) الشنوفي، علي. بحوث ودراسات تاريخ مكة المكرمة والكعبة المشرفة في كتب الرحالة المسلمين من سنة (٩٢٢هـ-١٣١٨هـ)، (١٥١٧-١٩٠٠م)، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، تونس، ط١، (١٩٨٩م)، ١٩-٢٠.

ساهم محمل الحج المصري دورًا بارزًا في تشكيل الوعي الاجتماعي في ولاية الحجاز، من خلال المراسيم التي تقام لاستقباله كل عام في مدينة جدة التي تشهد احتفال صاخب أثناء مراسيم استقبال محمل الحج المصري، ومن الشواهد التاريخية لهذه المراسيم هو ما شهده ميناء جدة في (١٩) ذي القعدة عام (١٣١٨هـ)، بعد إبحار المحمل مباشرة من ميناء السويس في مصر وقطع مسافة بحرية تقدر بـ:(٦٤٦ ميلًا)، خلال (٦٦ ساعة)[١]، وفي العادة يتم استقبال محمل الحج المصري عند وصوله ميناء جدة، وتقوم المدافع بإطلاق إحدى وعشرين طلقة مدفعية، وهذا يُعد إعلانًا بوصول المحمل إلى جدة، وكانت السفن الحربية العثمانية المرابطة هناك تقوم بهذا الإجراء، وإشارة إعلامية من شأنها الإبلاغ إلى الحاميات العثمانية بالاستعداد لاستقبال المحمل في أرصفة الميناء، بعد نقل الحجاج من على السفينة التي تنقل المحمل بالقوارب إلى جدة لأن الميناء آنذاك لم يكن مؤهل لإبحار السفن الكبيرة إلى أرصفته، فيهب الأهالي في المدينة لحضور مراسيم الاستقبال ويسمعون نغمات الموسيقى العسكرية التي تنظم عملية الاستقبال[٢]، وبعد إتمام مراسم احتفال الاستقبال هذه في جدة يرحل المحمل إلى مكة، ويقوم أمير المحمل بقيادة المحمل في الطواف، ثم ينضم إلى مراسيم احتفالية إعلامية أخرى عند زيارة أمير المحمل لشريف مكة المكرمة، والوالي في مقر الحكومة العثمانية المسمى الحميدية[٣].

الصدى الإعلامي لمحمل الحج الشامي:

أولت الدولة العثمانية اهتمامًا كبيرًا، بمحمل الحج الشامي نظرًا لأهمية محامل الحج التي تعود عليها بتحقيق دعاية إعلامية بالغة الأثر لدى شعوب العالم الاسلامي، وتحسن من مكانتها كدولة إسلامية تقوم بدور الحامي لبيضة الإسلام، والمشرفة على المقدسات في مكة والمدينة، وتسير إليها محامل الحج في هالة من الدعاية الإعلامية الكبيرة، وكان محمل الحج الشامي يحقق مثل هذه الرغبة لدى العثمانيين لذلك كان محمل الحج الشامي في غاية الانتظام والترتيب، وحراسته مؤلفة من أربعمائة جندي، على الخيل ومائة جندي رمى وخمسين جندي مدفعي مزودين بالمدافع وفرقة للموسيقى، وكل ما يحتاجوه للسفر[٤]، وهنا يتبادر إلى ذهن الباحث سؤال: لماذا اهتم العثمانيين بمحمل الحج الشامي بهذه الصورة؟ وللإجابة الموضوعية على ذلك يمكن القول: أن اهتمام العثماني كان منصب في أمرين هما:

أولًا: الدور الإعلامي لمحمل الحج الشامي الذي من خلاله تحقق الدولة العثمانية دعاية لها ولمشروعها السياسي باعتبارها الدولة الإسلامية التي تقود سفينة العالم الإسلامي واهتمامها بالمناسبات الدينية يعطيها السند الشرعي لزعامة الأمة.

(١) باشا، إبراهيم رفعت. مصدر سابق، ج١، ١٥.
(٢) كحيل، فريد قوجي؛ غرهام، وروبرت. مصدر سابق، ٤٨-٤٩.
(٣) باشا، إبراهيم رفعت. مصدر سابق، ج١، ٣٦.
(٤) الشنوفي، علي. مرجع سابق، ٢٠.٢١.

ثانيًا: احتواء محمل الحج الشامي إلى جانب حجاج الشام والعراق حجاج الأناضول الذين يتوحد محملهم مع محمل الحج في الشام ليصبح محمل واحد وكان يعين أميرًا للحج عثماني يجيد اللغة العربية، ويحمل معه الخلع والأموال من دار الخلافة إلى الحرمين الشريفين(١)، إضافة إلى ذلك كان حجاج وسط آسيا ينضمون إلى محمل الحج في الأناضول وهناك يتم الالتحاق بقافلة الحج إلى الشام التي يتجمع فيها الحجاج ويخرجوا في قافلة الحج الشامي الضخمة التي يذهب فيها الحجاج بشكل آمن بسبب زيادة الاهتمام بأمن طرق الحجيج(٢).

المحور الثالث: توظيف العثمانيين للخدمات المقدمة للحرمين إعلاميًا

حاولت الدولة العثمانية منذ الوهلة الأولى لوجودها في ولاية الحجاز الاستفادة القصوى من وجود المقدسات الإسلامية فيها لتحقيق أهدافها السياسية، من خلال توظيف مكانة المقدسات لبث دعايتها الإعلامية التي تلبي مصالح الدولة، وتثبت وجودها كدولة إسلامية تقود الأمة الإسلامية، وتحمي مقدساتها، ومن اجل تلبية هذه الطموحات سعت إلى استغلال أي وسيلة تحقق من خلالها دعاية إعلامية تؤيد مشروعها، مستغلة العديد من المنابر الإعلامية التقليدية التي توفرها المقدسات الإسلامية، لاسيما مع وجود علاقات كبيرة بين الدولة والجانب الديني فعملت على توظيف الحج إعلاميًا، ثم استفادت من محامل الحج في نقل الرسائل والتوجيهات، إذ يقوم أمراء المحامل، ومعهم أمناء الصرر، بدور تسليم رسالتين أحدهما من السلطان العثماني، والثانية من نظارة الداخلية (وزارة الداخلية)، يتضمن التحية للقائمين على الأمر في مكة، والتوجيهات لهما بتوفير المساعدة لأمراء المحامل للقيام بعملهم المكلفين به لإمارة الحج، حيث يتم ذلك في احتفال إعلامي كبير يقام على شرفهما يتم فيها قراءة هذه الرسائل والتوجيهات ثم ينصرفوا، وبعد هذه المراسيم ينظم قادة حراسة المحامل زيارة للسلام على شريف مكة، على إثر ذلك يقوم الوالي بالاهتمام بمحامل الحج ويتعهد بتقديم، كل ما تحتاجه محامل الحج(٣)، وبعد إتمام الحج تسافر محامل الحج من مكة إلى المدينة المنورة التي تدخلها محامل الحج باحتفال وهالة إعلامية كبيرة حيث تطلق المدافع واحد وعشرون مدفعًا إعلانًا بوصول قافلة محامل الحج مدينة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ويتم استقبالهم من قبل حاكم المدينة المنورة الذي يدعى شيخ الحرم(٤)، إلى جانب انتظام الجنود في صفين لاستقبال محمل الحج المصري والشامي ومعهم الفرق الموسيقية المرحبة بهم في مراسيم احتفالية كبيرة(٥).

---

(١) الشنوفي، علي. مرجع سابق، ٢٦-٢٧.

(2) Mehmet Alparg uiserkan yazici, fikrettin yavuz: ARDUOUS JoURNE YToHEDJAZ: TURKESTAM PILGRIMS, the caliph and Istanbul (16th- 20th) enturied the Ankara Üniversitesi Dill ve tarih - cograf ya fakultesi dergisi 54(1), (2014), 404- 405-406.

(٣) باشا، إبراهيم رفعت. مصدر سابق، ج١، ٣٦-٣٧.

(٤) البتنوني، محمد لبيب. مصدر سابق، ١٤٢.

(٥) باشا، إبراهيم رفعت. مصدر سابق، ج١، ٤٠٠.

التوظيف الإعلامي للصرة العثمانية:

تعرف الصـرة: بأنها ما يمكن جمعه في شـيء ويتم شـدة، وجمعها صـرر، وهي كلمة عربية تعني كيس النقود، واستخدمت للهدية أيضًا، وكانت الدولة العثمانية ترسل من العاصمة اسطنبول إلى المقدسات في مكة المكرمة والمدينة المنورة الصرة بشكل سنوي في شهر رجب من كل عام، ثم أصبحت ترسل من ولاية مصر في شهر شعبان، وتم ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري التاسع عشر الميلادي، وكانت ترسل أموال الصـرة قبل هذا التاريخ من خزينة الحرمين الشـريفين الكائنة في بلاط السـلاطين العثمانيين، وتوزع أموالها على أشـخاص معينين(١)، وكان قدوم أموال الصـرة على مدينة مكة والمدينة، بحسـب بعض الباحثين الذين رجحوا قدوم هذه المحفظة المالية مع قدوم الحجاج، وهي أموال تجمع من أوقاف الحرمين الشـريفين توزع على أهالي مكة والمدينة(٢)، وقد حرص العثمانيين على الاهتمام بسـجلات (دفاتر) الصـرة، لتحقيق مكاسـب إعلامية، ودعاية لإبراز سـيادتهم على المقدسـات الإسـلامية في مكة المكرة والمدينة المنورة نظرًا لمكانة المدينتين الدينية في نفوس المسـلمين، إلى جانب ذلك اهتم العثمانيون بتوسـيع الحرمين الشـريفين ليتسـع لأكبر قدر من المسـلمين، وتأمين الطرقات بين المدينتين ذهابًا وايابًا لاسـيما في موسـم الحج من خلال القيام ببعض الأعمال والإجراءات، وإيقاف العديد من الأماكن على المقدسـات لزيادة إيرادات الصـرة لكي تغطي النفقات التي تحتاجها المقدسـات آنذاك(٣)، وتطالعنا إحدى الوثائق التي تظهر الاهتمام الذي كانت توليه الدولة العثمانية بالصـرة الهمايونية، كونها وسـيلة إعلامية تظهر اهتمام الدولة بالأماكن المقدسـة، وتصـور هذا الجهد في دعاية إعلامية، وأبهة عظيمة، فمن خلال الوثيقة التاريخية التي توضـح مراسيم الاحتفال الرسمية بموكب الصرة في العاصمة اسطنبول لتوديعه قبيل سفره إلى الحجاز، من العاصمة بأمر السـلطان وتوزع فيها المهام بين قادة محمل الصـرة، وقد جرت العادة عند العثمانيين الاهتمام بإحياء هذه المناسـبات إعلاميًا لتأكيد شـرعيتها، وكانت مواكب الصـرة تحقق هذا الغرض(٤)، كما عملت على كسـب ود القبائل بتوزيع الأموال عليهم لتأمين محامل الحج من الاعتداء عليها من جهة، والمحافظة على الهدوء في الحجاز من جهة أخرى(٥)، إذ نظرت الدولة العثمانية لهذا الدعم المالي بصـفته وسـيلة إعلامية

(١) المصعبي، فاطمة بنت عبد الله. **الصرة دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام (١١٧١هـ-١٧٥٨م)**. مركز تاريخ مكة المكرمة: جدة، ط١، (٢٠١٨م)، ١٨-١٩.

(٢) مخلوف، ماجدة صلاح. الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني (٩٢٣-١٣٣٥هـ/١٥١٧-١٩١٦م). **بحث** مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، مكة المكرمة، (١٤٢٦هـ)، ١٧٨-١٧٩.

(٣) دفتر الصـرة الهاميونية من أجل سـكان مكة المكرمة - شـرفها الله وسـكان المدينة المنورة - نورها الله تعالى إلى يوم الاخرة - من اموال الجزية المفروضـة على الشـام الشـريف وسـائر المقاطعات التابعة له الواجبة عن سـنة: (١٢١٤هـ). دفتر رقم: (٣٠٩١)، EV. HMK. SR.، دراسة وترجمة: ابتسام الجرافي، د. م، (٢٠١٥م)، ١٠.

(٤) الاحتفال بخروج الصرة الهاميونية من العاصمة أسطنبول، منشورة في موقع: . www.turkpress.co.node.46202

(٥) توزيع اموال الصرة على القبائل التي تعمل في حراسة طرق الحج، منشورة في موقع: .pic.twitter.com. nvolluvv28

دعائية لسياستها في خدمة المقدسات وأهالي الحجاز كصورة من التكامل الاجتماعي بين المسلمين، وجعلت منه نظامًا مؤسسيًا لتسيير الأموال إلى ولاية الحجاز لتحقيق مكاسب شرعية بصفتها المسيطرة على مقدسات المسلمين[١]، وقد حققت الصرة مكاسب إعلامية بصورة أو بأخرى، إذ أنها تختزن في سجلاتها معلومات لا غنى عنها ليس فقط بذكر اسماء الوظائف الموجودة على طريق الحج بل أنها أرشيف يختزن بين طياته معلومات لأعيان المناطق واسماء القبائل الواقعة على ذلك الطريق والتي استفادت من هذه الأموال نظير خدماتهم الأمنية[٢]، وقد استطاع العثمانيون بأموال الصرة تخفيف اعتداء القبائل على محامل الحج نتيجة استمالة هذه القبائل بهذه الأموال وبالتالي تجنيدها لصالح حماية محامل الحج، وكسب ودهم بدفع الدولة لهم الأموال نظير ما يقدموه من خدمات أمنية[٣]، ويذكر أحد الرحالة: أن الأوضاع المعيشية للأهالي في مكة والمدينة كانت تعتمد بشكل كبير، على ما يصلهم من مخصصات من أموال الصرة[٤]، ويمكن رصد المكاسب الإعلامية للعثمانيين من موكب الصرة في الآتي:

أولًا: الجانب الديني: استطاع العثمانيون من خلال أموال الصرة تحقيق دعاية دينية تمثلت في كسب مشاعر المسلمين من خلال الاهتمام بالمقدسات الإسلامية باعتبارها حامية الحرمين الشريفين من المخاطر من جهة، ومن جهة أخرى توفير كل متطلبات الحرمين من خدمات وغيرها.

ثانيًا: الجانب السياسي: سعت الدولة العثمانية من خلال الدعاية الإعلامية للصرة تحقيق مشروعيتها السياسية باعتبارها تمثل الزعامة (الخلافة)، السياسية للعالم الإسلامي وسلاطينها هم خلفاء المسلمين وعلى عاتقهم حماية الحرمين الشريفين والمحافظة عليهما.

ثالثًا: الجانب الاجتماعي: حققت الدولة العثمانية من خلال الدعاية الإعلامية للصرة في معالجة الأوضاع المعيشية لأهالي الحجاز إلى جانب أن الحج يمثل منطقة التقاء كبرى لجميع أجناس وشعوب العالم الإسلامي، وهذا يساعد العثمانيون في تحقيق الروابط الاجتماعية المتعددة، من خلال تسهيل عملية الهجرة والإقامة، والمصاهرة، وانتقال الثقافات.

رابعًا: الجانب الاقتصادي: حققت الدعاية الإعلامية لأموال الصرة إلى جانب الدعاية الإعلامية المباشرة لمكانة الدولة العثمانية الدينية، والسياسية لدى شعوب العالم الإسلامي الذين نظروا بأعجاب لما تقدمه الدولة من خلال أموال الصرة، حيث أدت هذه الأموال إلى انعاش الحياة الاقتصادية في ولاية الحجاز

(١) المصعبي، فاطمة بنت عبد الله. مرجع سابق، ٢٠.

(٢) صابان، سهيل. مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام (١١٩٢هـ-١٧٧٨م). **مجلة جامعة الملك سعود**، ١١(٢)، الآداب، الرياض، ٣.

(٣) الشرعة، إبراهيم فاعور. موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. **مجلة الدارة**، ع٤، الرياض، (١٤٢٦هـ)، ٣٥-٣٦.

(٤) صابان، سهيل. أوليا جلبي ورحلته إلى الحجاز في أواخر القرن الحادي عشر الهجري. **مجلة الدارة**، ع٣، الرياض، (٢٠٠١م)، ٧٩.

الفقيرة التي تحتضن المقدسات الإسلامية، فضلًا عن اهتمامها بالفقراء، إضافة إلى أن محامل الحج وما تمثله من دعاية إعلامية مرافقة للصرة قد عملت على إنعاش الحركة التجارية، ونشطت عملية تبادل السلع الواردة من جميع انحاء العالم الإسلامي(١)، إلى جانب ذلك كانت الصرة تدفع مخصصات الأشراف ومصروفاتهم، ورواتبهم، ورواتب جنودهم، إضافة إلى رواتب جميع الموظفين من قضاة وعلماء وغيرهم(٢).

التوظيف الإعلامي لكسوة الكعبة:

مما لاشك فيه أن العثمانيين بعد أن سيطروا على الحجاز وآلت إليهم السلطة الروحية والسياسية واستفادتهم الكبيرة من الدعاية الإعلامية التي توفرها لهم المقدسات الإسلامية لمواجهة أطماع الغرب المسيحي من خلال تدعيم الروابط الدينية وحرص العثمانيين الشديد على تنويع وسائل الاهتمام بالحرمين الشريفين، حيث اهتم العثمانيون بكسوة الكعبة، وعملوا لها مراسيم استقبال رسمية واحتفالات صاخبة، رافقتها الدعاية الإعلامية التي اخذت تتطور في أواخر العصر العثماني(٣)، في حين أشار أحد المؤرخين إلى أن العثمانيين زادوا من اهتمامهم بكسوة الكعبة رغبه منهم في زيادة الدعاية الإعلامية لمشروعهم السياسي بعد إعادة العمل بالدستور، وخلع السلطان عبدالحميد الثاني خلال أحداث عامي (١٩٠٨- ١٩٠٩م)، فجرت الاحتفالات الرسمية بكسوة الكعبة، وقد أمر الخديوي عباس حلمي الثاني بأن تجرى لها احتفال رسمي(٤)، فقد كانت الكسوة ترسل باسم الدولة العثمانية من مصر بعد أن يتم تجهيزها وترسل مع محمل الحج المصري إلى مكة المكرمة(٥)، وبعد الانتهاء من كل التجهيزات يعمل لها احتفال كبير في مصر، وبعد وصول المحمل مكة المكرمة تدخل كسوة الكعبة باحتفال إلى أن تصل إلى التكية المصرية فيتم إدخالها هناك، ويبقى المحمل المصري في المكان المخصص له في مكة بعد أن يخلعوا ثيابهم الرسمية، وينصرفوا إلى الخيام المعدة لهم في منطقة (جرول)، وفي اليوم التالي يأتي أمير محمل الحج المصري ومعه أمين الصرة وقائد الحماية العسكرية للمحمل ومعهم الجنود ترافقهم الموسيقى العسكرية التي تصدح نغماتها معلنة بداية مراسيم احتفال تسليم كسوة الكعبة التي يأخذوها من التكية المصرية وسط أصوات التهليل والتكبير في أبهة إعلامية كبيرة ويمشي جنود المحمل والعساكر والشرطة الخاصة بمكة، ومعهم الموسيقى التي ترافق الموكب

(١) المصعبي، فاطمة بنت عبد الله مرجع سابق، ٢١-٢٣.

(٢) بيومي، محمد فهيم. **دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز أبان العصر العثماني (٩٢٣ -١٢٢٠هـ/١٥١٧-١٨٠٥م)**. دار القاهرة للنشر، القاهرة: د. ط، (٢٠٠٦م)، ٨.

(٣) مداح، أميرة بنت علي وصفي. اهتمام العثمانيون بكسوة الكعبة الشريفة وتطورها في العصر الحديث ٩٢٣-١٣٤٦هـ/١٥١٧-١٩٢٧م). **مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها**، ٣٥(١٧)، مكة المكرمة، (١٤٢٦هـ)، ١٤٨-١٥٧.

(٤) الحنفي، عبد الله الغازي المكي. **أفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام مع تعليقة المسمى بإتمام الكلام**. ج١، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، ط١، (٢٠٠٩م)، ٤٧٣-٤٧٤.

(٥) باشا، محمد صادق. مصدر سابق، ٧٧.

تصدح نغماتها الصاخبة بمقطوعات خاصة بالموسيقى العسكرية العثمانية إلى أن يصلوا إلى منزل حامل مفاتيح الحرم من (آل الشيبي)، فيتم تسليمها له ثم يتلى الدعاء للسلطان ومقام الخلافة، ثم تقرأ سورة الفاتحة التي يتم بها إنهاء المراسيم الإعلامية لتسليم كسوة الكعبة(١).

المحور الرابع: نماذج من استخدام العثمانيين لوسائل الإعلام التقليدية في الحجاز

حاولت الدولة العثمانية الاستفادة القصوى من وسائل الإعلام التقليدية في الحجاز، يتبين ذلك من خلال بعض نماذج هذه الوسائل التي استفادوا منها ومن هذه الآتي:

١- الاستفادة من الخدمات الإعلامية للمطوفين:

تُعد مهنة المطوفين من المهن الإعلامية ذات الأهمية البالغة، وقد استخدمها العثمانيون في مكة، إذ يمتهن بعض أهالي مكة المكرمة هذه المهنة الإعلامية، وأحيانًا تدير هذا العمل أسرة كاملة، ويقدم المطوفون خدماتهم الإعلامية للحجاج، إلى جانب امتلاكهم الأخبار والمعلومات عن الحجاج، إضافة إلى اجادتهم اللغة الخاصة بالحجاج الذين يقومون بإرشادهم، وتقديم الخدمات لهم مقابل حصولهم على مبالغ مالية من الحجاج الذين يعملون لديهم ويلم هؤلاء الادلاء الإعلاميين بأخبار السفن القادمة بالحجاج إلى ميناء جدة، ولا تقتصر جهودهم على إرشاد الحجاج في مكة وحسب، بل يذهب المطوفون إلى ميناء جدة يستقبلون الحجاج التابعين له من السفينة التي تحملهم، فهو شخص يلم بمعلومات عن الشخصيات المهمة القادمة على ظهر السفينة، وكل مطوف يذهب لاستقبال الحجاج الذين يتبعونه، أو يتم إرسال أحد أبناء الأسرة إذا كانت الأسرة كاملة تعمل في مهنة المطوفين(الدليل الإعلامي)، وهذا الدليل يلم بجميع المعلومات التي يحتاجها الحاج حتى مدة أيام الإقامة للحاج في مكة، ونوع السكن الذي يرغب به الحاج، ولكل مطوف وكيل لإعماله في جدة مهمته إبرام الاتفاقيات مع الحجاج المخصصين له(٢)، ويعمل هؤلاء المرشدون الإعلاميون في خدمة الحجاج بإرشادهم في الطواف ولكل مرشد حجاج يتبعونه على حسب اهتمام المطوف، ورغبته في خدمة الحجاج الذي يرغب، أو بمعنى آخر رغبته في أن يكون مرشدًا لحجاج يعرف لغتهم وثقافتهم، فعلى سبيل المثال: هناك مطوفون يعملون في خدمة الحجاج الهنود، أو الأتراك أو مصريين، وأمام هذه التفاصيل يمكن توارث عمل هؤلاء المرشدين الإعلاميين لأبنائهم الذين يعملون في المسار نفسه، وفي خدمة حجاج مخصصين، وكانت إمارة مكة تعينهم في هذه الوظائف الإعلامية، وكانت هذه الوظيفة الإعلامية قبل إعلان الدستور تنظم وفق نظام الالتزام، حيث يدفعون مبالغ مالية مقطوعة لشريف مكة مقابل احتكار الملتزمين هذه المهنة الإعلامية، ولا يستطيع الحاج أيام نظام الالتزام أن يغير

(١) الحنفي، عبد الله الغازي المكي. مصدر سابق، ج١، ٤٧٣-٤٧٤.
(٢) خرونيه، ك. سنوك هور. مصدر سابق، ج٢، ٣٥٣-٣٣٦.

الدليل لأن الملتزمين كانوا يؤثرون على سلطة اتخاذ القرار إذا اشتكى حاج من سوء معاملة المطوف (الدليل الإعلامي)[١]، وكانت سلطات مكة تؤثر على هؤلاء الأدلاء وتمنع بعضهم من ابرام التعاقدات مع الحجاج في ميناء جدة، وكان بعض الحجاج يحرموا من خدماتهم والاستفادة منها وقد أورد أحد الرحالة معلومات عن ذلك بقولة: خلال رحلة الحج المصري عام (١٩٠٤م)، كان مصور الحج محمد علي أفندي قد تعاقد مع مطوفين أثنين لحظة وصوله إلى جدة، وتطلع السعودي للاستفادة من خدماتهم عندما حج عام (١٩٠٧م) لكنه لم يجدهم في جدة، حيث تدخل شريف مكة في تحذير هؤلاء الأدلاء ومنعهم من الاتصال بالحجاج المصريين وقد زج بأحد هؤلاء المرشدين في السجن بعد أن وردت إلى شريف مكة معلومات عن هذا المطوف الذي تعاقد مع حاج مصري وقبض عليه في أول ليلة قضاها هذا الحاج في مكة[٢]، وتجدر الاشارة إلى أن هذه الوسيلة الإعلامية كانت متوارثة بين أفراد الأسرة الواحدة، ويتم ذلك بموجب توجيه من شريف مكة المكرمة بإسناد هذه الوظيفة الإعلامية إلى أبناء المطوفين المتوفيين[٣].

٢- استخدام البيرق:

يُعد البيرق أحد وسائل الإعلام التقليدية التي استخدمها العثمانيون لإيصال المعلومات والتوجيهات إلى الحجاج، وهذه الوسيلة الإعلامية يقوم بها شخص يدعى صاحب البيرق (الراية)، ينحصر عمله في التلويح بهذا البيرق بين الفينة والأخرى، حيث يشاهد تلويحاته الحجاج القريبون منه والبعيدون، وكان أكثر الأماكن استخداما لهذه الوسيلة الإعلامية يوم الوقوف بجبل عرفة، حيث يتعذر مخاطبة جموع الحجاج الواقفين بالنداء لكثرتهم، فكان البيرق الوسيلة الإعلامية التي من خلالها يتم ارشاد الحجاج ولفت انتباههم لما يطلب منهم، فكلما لوح صاحب البيرق صاح الحجاج بصوت واحد لبيك اللهم لبيك يصاحب هذه التلبية أصوات البكاء، والتضرع إلى الله بالدعاء، وكان البيرق الوسيلة الإعلامية الوحيدة لمخاطبة جموع الحجاج الواقفين على صعيد عرفة، حيث تكمن أهميتها في حث جموع الحجيج على الانشغال بمقتضيات مناجاة الله[٤].

٣- استخدام الألعاب النارية والمدافع والطبول:

تعد الألعاب النارية والمدافع والطبول من الوسائل الإعلامية التي استخدمها العثمانيون لإيصال المعلومات والتعليمات إلى الحجاج من أجل ابلاغهم بموعد الرحيل من صعيد عرفة فعند غروب الشمس

(١) البتنوني، محمد لبيب. مصدر سابق، ١٢٣.

(٢) كحيل، فريد قوجي؛ غرهام، روبرت. مصدر سابق، ٦٦.

(٣) وثيقة توجيه الشريف حسين بن علي شريف مكة المكرمة باعتماد تقرير المطوفين لأهل مدارس الهند، وثيقة منشورة عبر موقع: www.twitter.com.@ashrefonlin.

(٤) باشا، محمد صادق. **الرحلات الحجازية**. بدر للنشر والتوزيع: بيروت، ط١، (١٩٩٩م)، ١٠٩.

يتم اطلاق صـــاروخ (ألعاب نارية)، في الهواء لشـــد انتباه الحجاج لأمر الرحيل من عرفة، وعلى إثره يقوم الحجاج بتجهيز عدتهم للرحيل، من عرفة في مواكب طويلة يتخللها دقات الطبول والمزمار والات الموسيقى وإطلاق الصـــواريخ، وترافق هذه الهالة أصـــوات الحجاج بين تكبير وتهليل وصـــلوات للرحيل إلى مشـــعر مزدلفة(١)، إلى جانب ذلك كانت المدفعية من الوســـائل الإعلامية التي اســـتخدمت لإبلاغ الحجاج ببدء الرحلة نحو مشـعر منى، حيث تتوجه قوافل الحجاج بعد سماع طلقاتها إلى المشـي بجانب الحراس المسـلحين الموجودين لمرافقة وحماية الحجاج وتنظيم حركة مرورهم، ومنع الازدحام بعد إطلاق المدفعية طلقاتها(٢).

٤- استخدام مبشر الحج:

يُعد مبشـر الحج من الوسـائل الإعلامية التقليدية، التي يقوم صـاحبها بنقل الأخبار للسـلطان أو من ينوب عنه ويبلغه بنجاح موســم الحج واتمام الحجاج حجهم، وكان مبشــر الحج في العهد المملوكي يســبق الحجاج العائدين إلى مصر والشام، ويبشر السلطان والأهالي بسلامة الحجاج، ويخبرهم متى عودتهم ويبعث لهم بأخبار تطمئنهم على صحة الحجاج، وأوضاعهم، إلى جانب ذلك كان يقوم مبشر الحج بنقل أخبار، وأحوال مكة المكرمة والمدينة المنورة للسـلطان، وهذه الوظيفة التي يقوم بها مبشـر الحج تمثل عين السـلطان التي يرى بها كل ما يدور في الحج ومكة منذ ذهابه وحتى عودته منها، فيقدم تقريرًا إعلاميًا بكل ما صـادفه وشاهده ولمسه وسمعه، وهذه فيما يبدو أهم أعمال ومهام مبشر الحج(٣).

الخاتمة:

- تعد وسـائل الإعلام التقليدي إعلامًا محليًا مهمًا، قبيل ظهور الإعلام الحديث في ولاية الحجاز العثمانية واستمرت بعد ظهور الطباعة والصحافة نتيجة حاجة الدولة لها.
- استفادت الدولة العثمانية من وسائل الإعلام التقليدية في الحجاز في تعميق روابط الهوية الإسلامية بين شـــعوب العالم الإســـلامي وتوثيقها مع حجاج بيت الله الحرام القادمين من مختلف بلدان العالم باعتبارها حامية حمى الإسلام ومقدساته.
- حاولت الدولة العثمانية توظيف الخدمات المقدمة للحرمين الشريفين إعلاميًا خدمة لمصالحها السياسية ومشروعيتها الدينية على مستوى العالم الإسلامي.
- حقق العثمانيين فوائد كبيرة من وراء اســـتخدام بعض نماذج وســـائل الإعلام التقليدية في الحجاز لتلبية حاجتهم في ارشاد الناس واعادة توجيههم في مواسم الحج.

(١) باشا، محمد صادق. **الرحلات الحجازية**. مصدر سابق، ١٨٩.

(٢) كحيل، فريد قوجي؛ غرهام، روبرت. مصدر سابق، ٩٢-٩٣.

(٣) الشـــويعر، محمد بن عبد الله. مبشـــر الحج في العصـــر المملوكي (٦٤٨-٩٢٢هـ/١٢٥١-١٥١٧م). **مجلة الدارة**، ع (١)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، (١٤٣٣هـ)، ١٣.

المصادر والمراجع:

ابن منظور. **لسان العرب**. ج٢، تعليق: **على شبري، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي**. بيروت، ط٣، (١٩٩٩م).

أوغلو، متين شريف. جدلية الدين والسياسة في الدولة العثمانية وانعكاساتها على تجربتها الدستورية. **مجلة الفواتير الاجتماعية**، ع(٢٠٢٧-٢٥٦٤)، أنقرة، تركيا، مايو (٢٠٢١م).

الأشـول، محمد فيصـل. علاقة الدولة القاسمية في اليمن بأشـراف الحجاز (١٠٥٠-١١٠٠هـ/١٦٥٠-١٧٠٠م). محمل الحج اليمني أنموذجًا، **مجلة الآداب**، ١٢، جامعة ذمار، (٢٠١٩م).

باشـا، إبراهيم رفعت. **مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشـاعره الدينية محلاة بمئات الصـور الشمسية**. ج١، مطبعة دار الكتب المصرية: القاهرة، ط١، (١٩٢٥م).

باشا، **الرحلات الحجازية**. بدر للنشر والتوزيع: بيروت، ط١، (١٩٩٩م).

باشا، محمد صادق. **وصف مكة المكرمة كما ورد في مصنف مكة المكرمة أم الدنيا**. ترجمة: تنسيم محمد حرب، مركز التاريخ العربي للنشر: تركيا، (٢٠١٩م).

البتنوني، محمد لبيب. **الرحلة الحجازية لولي النام الحاج عباس حلمي باشـا خديوي مصـر**. مطبعة الجمالية: مصر، ط١، (١٣٢٩هـ).

بن فهد، النجم عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد. اتحاف الورى بأخبار أم القرى. ج١، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ط١، د.ت.

بيومي، محمد فهيم. **دور مصـر في الحياة العلمية في الحجاز أبان العصـر العثماني (٩٢٣-١٢٢٠هـ/ ١٥١٧- ١٨٠٥م)**. دار القاهرة للنشر: القاهرة، د. ط، (٢٠٠٦م).

توزيع أموال الصرة على القبائل التي تعمل في حراسة طرق الحج، منشورة في موقع:
Pic.twitter.com. nvolluvv28.

جارشـلي، إسماعيل حقي. **أشـراف مكة المكرمة وأمرؤها في العهد العثماني**. ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات: بيروت، د.ط، (٢٠٠٣م).

حسين، نمير. ركب الحج والصرة السلطانية بين القرنين (١٦-١٩م). **رسالة ماجستير**، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى أسطنبولي، بسكره، الجزائر، (٢٠١٩م).

الحلبي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم. **مجمع الأنهر في شـرح الأبهر المنتقى في شـرح الملتقى**. ج١، تحقيق: شيخي زادة؛ العلاء الحصكفي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٩٩٨م).

الحمدي، صـبري فالح. أخبار الحجاز في كتب الرحلات والوثائق الروسـية المنشـورة (١٨٧٩-١٩٠٧م). **مجلة كلية الآداب**، ع١٠٦، العراق، (٢٠١٣م).

الحنفي، عبد الله الغازي المكي. **أفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام مع تعليقة المسمى بإتمام الكلام**. ج١، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، ط١، (٢٠٠٩م).

خرونيه، ك. سنوك هور. **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**. ج٢، ترجمة: علي عودة الشيوخ، دار الملك عبد العزيز: الرياض، ط٢، (١٤١٩هـ).

الرشيدي، حياة مناور فرحان. دور الحج في اثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين مكة وبلاد الشام في ظل الدولة العثمانية من خلال حكم ال العظم. **مجلة العلوم العربية والإنسانية**، ٣١(٩)، جامعة القصيم، السعودية، (٢٠١٦م).

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. **تاج العروس**. ج٥، تحقيق: إبراهيم الترزي، دار التراث العربي: الكويت، (٢٠٠٠م).

الزهراني، عائض محمد عائض. الحجاز في عهد الشريف حسن بن عجلان دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية (٧٩٧-٨٢٩هـ/١٣٩٤م-١٤٢٥م). **رسالة ماجستير**، في التاريخ الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، (١٤١٣هـ).

الشرعة، إبراهيم فاعور. موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. **مجلة الدارة**، ع٤، الرياض، (١٤٢٦هـ).

شريدي، سعد. دور المشيخة في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية ق (١٦-١٩م). **مجلة منتدى الاستاذ**، ع١٨، د. م، (٢٠١٦م).

الشنوفي، علي. **بحوث ودراسات تاريخ مكة المكرمة والكعبة المشرفة في كتب الرحالة المسلمين من سنة (٩٢٢هـ-١٣١٨هـ) (١٥١٧-١٩٠٠م)**. المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة: تونس، ط١، (١٩٨٩م).

الشويعر، محمد بن عبد الله. مبشر الحج في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٢هـ/١٢٥١-١٥١٧م). **مجلة الدارة**، ع١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، (١٤٣٣هـ).

صديق، آمال رمضان عبد الحميد. الحج وأثره على مجتمع المدينة المنورة من خلال كتب الرحالة ابان الحكم العثماني للحجاز. **مجلة مركز بحوث ودراسات**، المدينة المنورة، ع٣٩، د.ت.

صابان، سهيل. أوليا جلبي ورحلته الى الحجاز في أواخر القرن الحادي عشر الهجري، **مجلة الدارة**، ع٣، الرياض، (٢٠٠١م).

صابان، سهيل. مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام (١١٩٢هـ-١٧٧٨م). **مجلة جامعة الملك سعود**، الآداب، ١١(٢)، الرياض.

عامر، سميرة فهمي علي. **تاريخ المصريين إمارة الحج في مصر العثمانية (٩٢٣-١٢١٣هـ-١٥١٧-١٧٩٨م)**. الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط١، د.ت.

العبدلي، الحج إلى الأرض المقدسة خلال القرن التاسع عشر موسم (١٨٨٤م). نموذجًا، **مجلة كان التاريخية**، ع٣٦، مؤسسة كان التاريخية: (٢٠١٧م).

عتر، نور الدين. **الحج والعمرة في الفقه الإسلامي**. مؤسسة الرسالة: بيروت، ط٤، (١٩٨٤م).

فاروقي، ثريا. **حجاج وسلاطين الحج أيام العثمانيين**. ترجمة: أبوبكر أحمد باقادر، منشورات الجمل، المركز الدولي للخدمات الثقافية: بيروت، ط١، (٢٠١٠م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **العين**. ج١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط٢، (٢٠٠٣م).

فهد، بدري محمد. تاريخ امراء الحج. **مجلة المورد العراقية**، ٤(٩)، بغداد، (١٩٨١م).

المتوكل، محمد عبد الملك. **الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها، مطابع الطبجي التجارية**. القاهرة، ط١، (١٩٨٣م).

كحيل، فريد قوجي؛ غرهام، روبرت. مصور في الحج رحلات محمد أفندي السعودي (١٩٠٤-١٩٠٨م). ترجمة: يسرى خريس، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: أبوظبي، ط١، (٢٠١٢م).

الكليبي، بكيل محمد. الإعلام العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م). **رسالة ماجستير**، كلية الآداب، جامعة ذمار، (٢٠٢٠م).

الكليبي، بكيل محمد. تطور الطباعة في ولاية الحجاز العثمانية (١٨٨٣-١٩١٨م). **مجلة الآداب**، ٢(١١)، جامعة ذمار، (٢٠٢٣م). https://doi.org/10.35696/.v11i2.1535

الكليبي، بكيل محمد. الدين والسياسية في وثيقة فتوى علماء المغرب العربي ضد السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م). **مجلة الآداب**، ٢(١٢)، جامعة ذمار، (٢٠٢٤م). https://doi.org/10.35696/arts.v12i2.1967

كين، جون فراير. **رواد الشرق العربي ستة أشهر في الحجاز رحلتان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في عام (١٨٧٧-١٨٧٨م)**. ترجمة: أنعام أبيش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة إصدارات دار الكتب الوطنية: أبو ظبي، ط١، (٢٠١٢م).

مالكي، سليمان عبد الغني. بلاد الحجاز منذ بداية عهد الإشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، **أطروحة دكتوراه**، في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، (١٩٨١م).

مخلوف، ماجدة صـــلاح. الخدمات والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني (٩٢٣-١٣٣٥هـ-١٥١٧-١٩١٦م). **بحث** مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصـــمة الثقافة الإســـلامية، مكة المكرمة، (١٤٢٦هـ).

مداح، أميرة بنت علي وصـفي. اهتمام العثمانيون بكسـوة الكعبة الشـريفة وتطورها في العصـر الحديث. (٩٢٣-١٣٤٦هـ/١٥١٧-١٩٢٧م). **مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشـــريعة واللغة العربية وآدابها**، ٣٥(١٧)، مكة المكرمة، (١٤٢٦هـ).

المصـري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجم. **البحر الرائق شـرح كنز الدقائق**. ج٢، تحقيق: الشـيخ زكريا عمران، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، (١٩٩٧م).

المصـعبي، فاطمة بنت عبد الله. **الصـرة دراسـة وثائقية لنموذج دفتر عام (١١٧١هـ-١٧٥٨م)**. مركز تاريخ مكة المكرمة: جدة، ط١، (٢٠١٨م).

ملوك، فايزة محمد محمد حسن. **موقف الإدارة العثمانية من التسلط الاقتصادي لأمراء الحج في القرن الثامن عشر**. دراسة من خلال تركتي علي بك قطاش ومحمد بك قطاش المعروف بقطامش، المؤتمر الدولي الخامس العرب والترك عبر العصور، د. م، د. ت.

المكي محمد طاهر الكردي. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم. ج٥، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر: بيروت، ط١، (٢٠٠٠م).

الاحتفـال بخروج الصـــرة الهـاميونيـة من العـاصـــمـة أســـطنبول، صـــورة منشـــورة في موقع: www.turkpress.co.node.46202.

دفتر الصرة الهاميونية من أجل سكان مكة المكرمة ــ شرفها الله وسكان المدينة المنورة ــ نورها الله تعالى إلى يوم الآخرة ـ من أموال الجزية المفروضة على الشام الشريف وسائر المقاطعات التابعة له الواجبة عن سنة: (١٢١٤هـ). دفتر رقم: (٣٠٩١) .EV. HMK. SR، دراسة وترجمة: إبتسام الجرافي، د.م، (٢٠١٥م).

وثيقة توجيه الشريف حسين بن علي شريف مكة المكرمة باعتماد تقرير المطوفين لأهل مدارس الهند، وثيقة منشورة عبر موقع: www.twitter.com.@ashrefonlin.

https//ar.Wikipedia.Org.

Mehmet Alparg uiserkan yazici, fikrettin yavuz: ARDUOUS JoURNE YToHEDJAZ: TURKESTAM PILGRIMS, the caliph and Istanbul (16th- 20th) enturied the Ankara Üniversitesi Dill ve tarih - cograf ya fakultesi dergisi 54(1), (2014).